مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 07 عدد: 02 السنة: 2021 E-ISSN:2588-2325

ديناميكيات الاتصال الجديدة ما بين فضائي الريف والمدينة وأثرها على تبني توجهات الفردانية/ الجماعانية لدى الأفراد على مستوى الأسرة البجاوية.

The new communication dynamics between the rural and urban spaces and their impact on the adoption of individual / collective attitudes among individuals at the level of the Bejaia family.

نصيرة هواري*، جامعة الجزائر 03، houari.nacera@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/08/03 تاريخ القبول: 2021/08/23 تاريخ النشر: 2021/12/10

ملخص:

تسجل هذه الدراسة ضمن الدراسات التحليلية والكيفية بحيث تحاول ملاحظة الحركيات اليومية التي يقيمها الأفراد ما بين قرية "البير" في أحد الأرياف البجاوية وقرية "احدادن" بمدينة بجاية التي بدأت تزداد كثافتها في الآونة الأخيرة. سيستهدف هذا العمل فهم كيف يمكن لهذه الحركيات أن تخلق ديناميكيات جديدة على مستوى العلاقات ما بين فضائي الريف والمدينة؟ ما علاقة هذه الدينامكية الجديدة من الروابط في تطور السلوك الفرداني/الجماعاني لدى الأسرة البجاوية؟ للإجابة على هذه الإشكالية، تبنى البحث المنهج الاثنوغرافي وما يتطلبه من ملاحظات ايثنوغرافية ومقابلات معمقة. ضمن هذا السياق، تظهر الديناميكيات على مستوى التنقل من المدينة إلى الريف بالأخص في الحركيات اليومية، المناسابتية والفصلية (البحث عن مواد غذائية طبيعية، البحث عن الهدوء وقضاء العطلة،...الخ) في الوقت الذي تستجيب فيه تنقلات الريفيين المتكررة نحو المدينة إلى عدة أسباب (الدراسة، التكوين أو العمل، توفر الخدمات الإدارية،...الخ. في الأخير قد تساهم هذه الديناميكيات بفاعلية في تغيير التوجهات الثقافية للأفراد.

الكلمات المفتاحية: الفضاء، ريف، مدينة، فردانية، جماعانية.

* المؤلف المرسل.

Abstract:

This research falls within analytical and qualitative studies and attempts to observe daily mobilities that individuals try to establish between "El Bir" village in countryside and "Iheddaden" in center city of bejaia, which they tend to intensification these last years. This work aims at understanding how these mobilities can cantribute in creating new dynamics of relations between countryside and city? What is the relationship of this new dynamic of links in the evolution of individual/communal behavior in the Bejawi family? To answer to the problem, the research adopted the ethnographic approach and what it requires from ethnographic observations and in-depth interviews.

Within this respect, the dynamics at the level of movement from the city to the countryside appear, especially in the daily, occasional and seasonal movements (the search for natural food products, calm and vacation, etc.), while the repeated movements of rural people towards the city adhere to several reasons (study, training or work, availability of administrative services, etc.. Ultimately, these dynamics may contribute effectively to changing the cultural orientations of individuals.

Keywords: Space, urban, rural, Individualism, Collectivim.

مقدمة:

إلى غاية نهاية الخمسينات، تم إهمال دراسات الفضاء في العلوم الاجتماعية وتم النظر إليه باعتباره مادة حيادية ومجرد حيز ممدد تتطور عليه المجتمعات. لكن سنوات الستينات والسبعينات شهدت بالمقابل تطوير تفكير جد منتظم حول هذا المفهوم. في أيامنا هذه، أصبح الفضاء يحتل مكانة مركزية أكثر فأكثر على مستوى النظرية الاجتماعية خاصة بعد تحول ما بعد الحداثة أين أصبح براديغم أساسي في التفكير المعاصر (Margier, 2013, p. 55).

على هذا المستوى، تعد مسارات تصور الفضاء نتاج تاريخ التفاعلات المتنوعة والمعقدة بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين التي تستدعي محاولات فهمها فحص العلاقات ما بين الأفراد، الثقافة

والفضاء. في هذا الاتجاه، "يعد الزوج الثنائي ريف/مدينة أحد المرتكزات الأساسية لعلاقة المجتمعات الإنسانية بفضائها"(Labex, 2015, p. 01) . في "العلوم الاجتماعية قام التضاد ما بين الريف والمدينة بالتأسيس لحقول معرفية متخصصة وان العلاقات بينهما كانت قد شكلت ولزمن طويل أحد أهم مواضيع البحث" (Labex, p. 01). من خلال "التصاعد بقوة لنماذج بديلة لنموذج التضاد القديم الذي يجعل من العالم الريفي تضاد للعالم الحضري، فان إعادة النظر في تصور العلاقات ريف/مدينة قد دفع إلى الواجهة علاقات جديدة مع الفضاء" (Labex, p. 01). على المستوى السوسيو اقتصادي، فان التعارض الثنائي ما بين الفضائين لم يعد يملك أي معنى له في الوقت الحالي. انه بفضل "تكثيف العلاقات ما بين العالمين، فان الأبحاث توضح أكثر فأكثر الأهمية المتجددة لمقاربة تسعى نحو التكامل والتبادل ما بين العالمين" (Labex, p.01). ففعل الذهاب والإياب سمح بخلق فرص الانفتاح أكثر خاصة بالنسبة للريفيين الذين بقوا ولمدة طويلة محدودي الحركة اتجاه المدينة خاصة نظرا لقلة وسائل النقل العمومية. كل هذه المعطيات قد تسمح بخلق معاني جديدة لدى الأفراد حول تصورات هذين الفضائين.

استنادا على بعض الممارسات الفضائية والاتصالية للفاعلين، يستهدف هذا العمل شرح وفهم طرق تصور الفضائين الريفي والحضري لدى كل من أهل الريف وكذا من أسميناهم في هذا العمل بـ"قروي المدينة" "Urbain Villagers"*. كيف يمكن لهذه الطرق أن تخلق ديناميكيات جديدة على مستوى العلاقات ما بين الفضائين لدى ثماني أسر بجاوية؟ ثم سنركز تحليلنا في الأخير على أثر هذه الدينامكية الجديدة من الروابط بين الفضائين في تطور السلوك الفرداني/الجماعاني لدى الأفراد والجماعات الأسرية ككل على مستوى ولاية بجاية؟

للإجابة على كل هذه التساؤلات، نفترض ما يلي:

- قد تساهم ديناميكية الروابط الجديدة ما بين فضائي الريف والمدينة في توجيه السلوكيات الاجتماعية والثقافية نحو الفردانية.
- تعد الحركية الجغرافية من الريف إلى المدينة أو من المدينة إلى الريف عامل يؤثر على التوجهات السلوكية للأفراد.

قبل التطرق لمعالجة إشكالية الدراسة، نرى أنه من المهم هنا شرح مفاهيم الفردانية/الجماعانية وكذا تقديم منهج وعينة الدراسة.

* " urban villagers "قروي المدينة" أو الحضر أو "قروي المناطق الحضرية" هي العبارة التي سيحاول هذا البحث تطويرها، وهي العبارة التي تمت استعارتها من عمل "Harry Tiandis" في كتابه حول "الفردانية/ الجماعانية.

يعرف (Hofstede, 2018, p. 51) الفردانية/الجماعانية كما يلي: "تشير الفردانية إلى المجتمعات التي تكون بداخلها العلاقات ما بين الأفراد واهنة. من المنتظر أن يبحث كل واحد عن نفسه وعن أسرته المباشرة وكذا مصالحه". بالمقابل، تشير الجماعانية باعتبارها معاكسها إلى "المجتمعات التي يكون فيها الأفراد منذ ولادتهم منظمين في جماعات داخلية قوية ومتماسكة التي تستمر في حمايتهم طيلة حياتهم مقابل الولاء العمياء لها"(Uichom Kim, 1994, p. 02) .

من خلال محاولة الإجابة على الانشغالات البحثية التي يطرحها هذا العمل، تبنى البحث المنهج الاثنوغرافي وما يتطلبه من ملاحظات بالمشاركة ومقابلات معمقة بحيث يذكر هنا أن العديد من الأبحاث في الاتصال أصبحت تسجل في الآونة الحالية ضمن المقاربة الاثنوغرافية (Lohisse, 1999, p. 18) .

إن اعتمادنا الملاحظة بالمشاركة يساعدنا على تحليل السلوك وإعطائه دلالة مختلفة. وتعود هذه التقنية باعتبارها أداة بحثية كيفية بجذورها إلى الأنثروبولوجيا الثقافية وإلى السوسيولوجيا الحضرية وكذا الكتابات الصحفية. وإنها تشير إلى العمل الميداني أو البحث الميداني، وهو ما يعني أن الباحث سوف يذهب إلى الميدان البعيد عن مخبره...إنها تفرض الولوج في النشاطات اليومية للجماعات أو الولوج في المكان الذي يتطلب اهتمامنا. ويتعلق الأمر هنا بتعلم كل ما يتعلق بالسلوكيات، وكذا الصيرورات الاجتماعية على مستوى ثقافة ما من أجل وصف ما يحدث واقتراح مفاهيم نظرية بإمكانها شرح ما تم رؤيته أو الاستماع إليه. ضمن هذا المسعى، "يجمع الملاحظ بالمشاركة معطيات من دون الاعتماد على مساعدة المبحوثين (Paugam, 2010, p. 147). ويقوم بالاندماج ضمن الجماعة التي يلاحظها ويمارس نفس النشاط لمدة زمنية معينة (بعض الأسابيع والأشهر أو أكثر (Hiroko, 2017, p. 531).

من جهتها، تقترب المقابلة المعمقة أو ما يطلق عليه أيضا "المقابلة الغير موجهة" من نفس الهدف الذي تستهدفه الملاحظة بالمشاركة، التي تستلزم على الباحث الولوج بصورة خصوصية في موقف خاص، بطريقة تسمح له بفهم الصيرورات النفسية والاجتماعية التي تحدث بحيث تساعد هذه التقنية الباحث على مرافقة تفكير الشخص ... وعلى الباحث أن يستمع حقيقة إلى الشخص الذي يستجوبه بكل اهتمام، ويبذل جهدا لفهمه ولتسجيل كل ما يقوله وكذا ما لا يستطيع أو لا يريد قوله (Curapp, 2000, p. 22).

اعتمد البحث على عينة قصدية تتكون من ثماني أسر موزعة بالتساوي بين أسر ريفية وأخرى حضرية، أسر نووية وأخرى موسعة. تقع هذه الأسر في ثلاث أحياء مختلفة. تحتل الأسر الريفية الأربعة حيي "البير" و"ثاوريرث خلفة" ببلدية كنديرة ولاية بجاية في حين تحتل الأربع الأسر الحضرية الأخرى أحد الأحياء الشعبية بقرية "احدادن" بمدينة بجاية. تضم العينة في المجموع 41 مبحوث منهم 16 ذكر و25 أنثى. تم استجواب 18 شخص منهم 48 بالمائة من نسبة الإناث و44 بالمائة من نسبة الذكور.

على الرغم من اعتمادنا على متغير مكان الإقامة لإجراء الدراسة، إلا أن الاختلافات بين الثنائيين ريف/مدينة في هذا السياق وضمن هذه الإشكالية البحثية لا تعد كثيرة. فالملاحظ لسوسيولوجية المدينة لمدينة بجاية بإمكانه أن يفهم بسهولة أن أغلب قاطنيها ينحدرون من مناطق جبلية مختلفة. في الواقع، لا يوجد في عينتنا ولا أسرة ولد فيها جيلي الآباء والأبناء معا في المدينة. وعليه فان تقسيمنا للأسر سيأخذ الشكل التالي: القرويين من جهة وقروي المدينة "Urban Villagers" من جهة أخرى الذين ينحدرون من أسر هجرت من الريف إلى المدينة وهذا منذ حوالي عشرين سنة على الأقل وفق عينة الدراسة. وفي هذا الصدد، تفترض العديد من الدراسات التي أنجزت حول موضوع الفردانية/الجماعانية وجود جماعانية معتبرة على مستوى قرويي المناطق الحضرية في المجتمعات المعاصرة (Triandis, p.94).

1. علاقات ريف/مدينة: "ثنائي صراعي دون أن يتحول إلى انفصالي"(Vanier, 2007)

1.1. ديناميكيات الذهاب والإياب ما بين الفضاء الريفي والفضاء الحضري والعكس:

تشهد السنوات الأخيرة إعادة بعث الأبحاث حول قضايا ريف/مدينة خاصة بعد الملتقى المتعدد التخصصات الذي تم تنظيمه في " Poitiers" عام 2003 حول موضوع "ريف، حضر: روابط جديدة، حدود جديدة" بحيث أصبح هناك ملتقيات وأيام دراسية تعقد بصورة منتظمة حول هذه المواضيع. في الفترة الحديثة، يمكن ذكر الملتقى الدولي حول موضوع " مدن وأرياف في علاقات: نظرة متقطعة حول الشمال والجنوب"" الذي تم عقده في جوان 2015 بمدينة باريس. إن دور السوسيولوجيا ثم بعدها الجغرافيا الاجتماعية والثقافية كانت جد أساسية في تطور المقاربات واستعمال المصطلحات الخاصة بهذا المجال (Mainet, p. 24).

يعد الفضاء بذاته حيادي ومنعدم الشكل وانه لا يملك أي معنى له إلا بعد تدخلات الفاعلين الاجتماعيين على مستواه بحيث تضفي الممارسات الاجتماعية معنى على الفضاء وتكشف لنا عن تنوع الديناميكيات المرتبطة بإنتاج هذا الأخير.

يعد كل جسد في حركية وتنقل جسد يرسل، يستقبل، يشكل وينقل معاني جديدة للعالم وللفضاء الذي يحيط به. تكشف لنا بروفايلات أفراد من المدينة الذين تعودت الأسر الريفية استقبالهم وبروفايلات أفراد من الريف الذين ينتقلون كثيرا إلى المدينة عن انتمائهم إلى مختلف الفئات السوسيو اجتماعية والمهنية المختلفة (طلبة، أساتذة، إداريين، تجار، خبازين، ...الخ). إن كل هؤلاء الفاعلين سوف يساهمون بفاعلية قصوى في تغيير تصور العلاقات ما بين الريف والمدينة بحيث وبفضل تنوعهم واختلافهم سوف يحملون تصورات مختلفة بالأخص لفعل الريفاوية.

2.1. أهمية شبكة النقل الحضري والريفي في تعزيز ديناميكيات الذهاب والإياب ما بين فضائي الريف والمدينة:

إن القدرة على الحركة يجب أن يرافقها تطور الهياكل القاعدية للنقل التي تمثل الإجابة الأساسية لرهانات "التوازن الريفي/الحضري". سوف نهتم هنا بديناميكية الاتصال ما بين العالمين الريفي والحضري الذي توفره وسائل النقل ككل. وعلى مستوى الفضاء الحضري، اهتمت سياسات النقل التقليدية أولا بالطلب فيما يخص السيارة، لكن منذ بعض السنوات، فان هذه القضايا أصبحت تركز على مسألة النقل الجماعي الحضري ومساهمته في الإدماج الحضري ومستوى الحياة ككل.

يتم ضمان خدمة النقل الحضري في مدينة "بجاية" منذ تحريره نهاية الثمانينات في غالبيته من طرف القطاع الخاص. هذا الأخير أصبح ممثلا من خلال مؤسسات تعود ملكيتها لأفراد ذوي إمكانيات جد محدودة وخدمة متدنية. يتم تأطير الأعوان الخواص من طرف مديرية النقل للولاية التي تمنح ترخيصات للنقل وتحدد أسعار الخدمة. في المقابل، وفي إطار البرنامج الوطني الذي يسعى نحو تحسين القطاع العام، تم خلق مؤسسة النقل الحضري البجاوي " ETUB". هذا على الرغم من أن الأعوان الخواص لا يزالوا يمثلون حصة جد مهمة في سوق النقل الحضري...بحيث يوفر الخواص 83 بالمائة مقابل 17 بالمائة للقطاع العام" (Maddahi, 2018, p. 03). وعلى الرغم من غياب مخطط التنقل الحضري، فان تنظيم وسائل النقل الجماعية الخاصة والعمومية أصبح أكثر فعالا في الآونة الأخيرة.

على مستوى الفضاء الريفي، أصبحت بعض العوامل تساهم في فك العزلة على مستوى قرى "البير" و"تاوريرث خالفة" محل الدراسة وهذا على الرغم من سياسة الأسعار التي تعد موضوع جدال لدى المستخدمين وكذا الخصخصة الكلية لقطاع النقل ما بين البلديات وهي الوضعية التي تأزمت أكثر بفعل غياب هذه المرافقة والدعم من طرف السلطات العمومية من أجل توفير خدمة عمومية في مستوى تطلعات أمال سكان الريف.

تشهد القريتين المدروستين على تغطية مهمة بوسائل النقل بحيث أصبح الولوج مباشرة إلى شبكة النقل للمسافات القصيرة أو الطويلة ممكنا في ظرف دقائق. وهو ما نتج عنه إمكانية الوصول إلى المدينة في أقل من تسعين دقيقة وكذا انتظامية مرور كل وسيلة نقل بحيث نشهد على احترام لأوقات مرورها لدى جل وسائل النقل الخاصة المعبئة هنا. الأمر الذي يجعل من التدفقات من المدينة نحو الفضاءات الريفية أو العكس من الريف إلى المناطق الحضرية اليوم ممكنة أكثر فأكثر بفضل توفر نظام النقل هذا الذي تم تعزيزه خاصة بفضل تطور حقل اكتساب السيارة الخاصة لدى الأسر عينة الدراسة

وهو الأمر الذي يساهم في التغيير بصورة معمقة للعلاقات ما بين الريف والمدينة. يذكر هنا أن السيارة تعد وسيلة النقل الأكثر استخداما في المناطق الحضرية للدول المتقدمة وإنها تعرف نمو سريع في الدول في طريق النمو. يمكن إرجاع هذا التطور السريع إلى الفوائد التالية: إنها تسمح بالتنقل من الباب إلى الباب، توفر الراحة، كسب الوقت وخفة الاستخدام (Merzouk, 2015, p. 02).

الديناميكيات الجديدة للعلاقات ريف/مدينة.

2. التحرك من المدينة إلى الريف:

1.2. "قروي المدينة" وغياب القطيعة مع "ثامورث" أو "الأرض الأم":

يتحدث "قروي المدينة" عن الريف الذي يطلقون عليه تسمية "ثامورث". في اللغة المحلية، فان أول معنى لهذه الكلمة يشير إلى "البلد" لكن في الاستخدامات اليومية لدى "قروي المدينة" فان معنى هذه العبارة يشهد تحول بحيث أصبح يشير إلى معاني القرية، الريف أو حتى الأصول. ما يميز ديناميكيات ريف/مدينة هنا كونها لا يمكن لها أن تكون علاقات تضاد وتناقض بقدر ما هي علاقات صراعية أحيانا وتكاملية وترابطية أحيانا أخرى. تعد "الحركية اتجاه الريف مقاربة جد واسعة لدى الفرد أو الأسرة التي تتبعه ككل. وتتمثل الخصائص السوسيو مهنية الغالبة لدى المهاجرين نحو الوسط الريفي في الحركية المهنية القوية من جهة وكذا الحركية الاجتماعية لعدد كبير منهم، من جهة أخرى" (Jagorel, p. 37)

عموما تظهر مسألة "العلاقات ريف/مدينة معقدة في المغرب وهذا يعود إلى غموض ظاهرة التحضر في مجتمعات بقيت ولمدة طويلة فضاءات ريفية" (Yves Guillermou, 1999, p. 47). انطلاقا من المواقع الثلاثة التي سمحت لنا بملاحظتها لعدة سنوات بفضل تغييرنا لموقع سكننا في المدينة (احدادن، سيدي علي البحر وبوخيامة)، استطعنا فهم أن الأمر يتعلق جيدا بقرويين الذي أجبرتهم الظروف ترك الريف للعيش في المدينة منذ حوالي أكثر من عشرين سنة وهذا بدون قطع بصورة نهائية لعلاقاتهم مع هذا الفضاء. في الواقع، فان هذه الفئة من المبحوثين لم تحدث أي قطيعة مع الريف الذي لا يزال تتم زيارته بصورة منتظمة وهذا لكون بالأخص أن الأسر لا تزال تملك بعض الممتلكات هناك (منازل، قطع أرض فلاحية،...الخ) بحيث تكشف بعض الفئات من أهل الحضر حب شغوف للأرياف التي ينحدرون منها خاصة في إطار ما يسمى بالعودة إلى "ثامورث" أو الأرض الأم. كما أن بعض الأسر من الأسر الحضرية الأربعة المدروسة لا تزال تعرف حركية دءوبة بين ذهاب وإياب من المدينة إلى الريف وهذا سواء بحضور مناسبة أو بغيابها (حركيات يومية وفصلية متزايدة بمناسبة فصل الربيع في إطار سياحة خضراء أو

بمناسبة فصول الجني مثل جني الزيتون، قطف التين،...الخ أو أثناء مناسبات الزواج، العطل أو الجنازة،...الخ) خاصة إذا ما علمنا أن الأسر الحضرية تدفن موتها في المناطق الريفية التي تنحدر منها.

2.2 تصورات الريفاوية لدى "قرويي المدينة":

كلاسيكيا تشير "الريفاوية" إلى مجمل القيم والثقافة الخاصة بالفضاء الريفي أو إلى "ظروف القرويين كما يرى ذلك " Littré" وهذا بالتضاد مع الحضرية "« Urbanité" التي تشير إلى المؤشرات الثقافية الايجابية (التمدن "civilité ")،...الخ (Rieutort, 2012, p. 04) . تدريجيا، أصبحت الريفاوية تعني "مجمل التمثلات الجماعية والطبائع التي تقود نحو شكل من الهوية. يتطلب تعريف الريفاوية العودة إلى قضية "ما هو ريفي" والتسجيل أكثر فأكثر ضمن جدلية العلاقات ريف/ مدينة وهذا من خلال الاهتمام بالتعديلات حول تصورات، ممارسات وطرق تسيير هذه الفضاءات(Rieurtort, p02) ".

ساهمت الحركيات الجديدة في السنوات الأخيرة نحو تشكيل تمثلات جديدة مشتركة ومتقاسمة حول فعل الريفاوية. هناك أربع مداخل سيتم تفضيلها هنا من أجل شرح هذه البناءات المتعددة للريفاوية ومختلف الممارسات المرتبطة بالفضاء الريفي لدى "قرويي لمدينة".

1.2.2. الحركية الجغرافية نحو الريف باعتبارها تنشئة اجتماعية للأجيال الشابة:

تعمل الديناميكية السوسيو-فضائية للذهاب والإياب لدى الأسر الحضرية المدروسة كامتحان لتنشئة الأطفال بحيث لا تزال تحتفظ جل هذه الأسر بمنازلها القديمة في الريف وهي المنازل التي قد تقاطعها في بعض الأحيان الأجيال الجديدة التي ولدت في المدينة. تأتي هذه الممارسة أي زيارة الريف لدى الأسر الحضرية بالأخص كإجابة على غياب التسلية والسياحة كثقافة مسجلة كلية في الأجندة الأسرية. إن الأبناء وبالأخص الذكور منهم يقاطعون هذا الفضاء غالبا خاصة حين يصلون إلى سن المراهقة وهي المرحلة التي يحاولون فيها تأكيد في العديد من الحالات تعارضهم مع قيم أوليائهم كمحاولة لفرض ذاتهم وفردانيتهم. إن الأسفار المنتظمة مع الأولياء والتي تحدث بالأخص بمناسبة كل موسم تعزز في كل مرة هذا العداء. يذكر هنا أنه مع نهاية الطفولة وبداية المراهقة، فان أهمية الأصدقاء وحاجة الشباب في تطوير علاقات حميمية مهمة خارج الأسرة تتصاعد (Dupras, 2012, p. 21). وإذا كان السفر يعد بمثابة "ممارسة تقود نحو الانقطاع والاختلاف مع المسار العادي للحياة وانه يستهدف توليد فضاءات جاهزة وملائمة للتغيير(Breton, 2014, p. 2) ، فإننا هنا نشهد على حركية جغرافية ضيقة من المدينة إلى الريف، وهي حركية جغرافية مهمة لكنها تبقى حركية مؤطرة ومحتواة في إطار سلوك محاولة تنشئة الجيل الجديد. فبدلا من الاستثمار في أسفار من أجل اكتشاف وفهم مناطق وثقافات أخرى من الجزائر، تبقى

"تامورث" في أغلب الحالات الوجهة الوحيدة المفضلة للأسر المدروسة وبدلا من تربية الأولاد على الانفتاح على العالم، نحاول ضمهم نحو الأصول وهذا كان من الممكن أن يكون فعلا ايجابيا لو تم إرفاقه بحراك أخر نحو مناطق أخرى جديدة. الأمر الذي يؤكد أن العقلية الجماعانية هي هنا بصدد احتواء عناصر بإمكانها أن تؤدي إلى فردانية "السفر" الذي من المفروض أن يؤدي إلى الانفتاح لتحولها إلى أكثر العناصر المعززة للجماعانية. بفضل التعلم والانفتاح نحو الأخر الذي يوفره فان السفر في هذه الحالة لا يمكن سوى أن يؤكد على انفتاح في ظل انغلاق. وهو ما يعني أن الحركية الجغرافية هنا لا تعد بالضرورة عامل مشجع للفردانية وهذا يعود إلى تضييق مناطق التنقل من المدينة إلى الريف أو العكس خاصة إذا ما علمنا أن التجهيز الثقافي للمدينة (قاعات السينما، دار الثقافة، أماكن أثرية وسياحية...الخ) لا يعد كاف كي يجعل من التغيير ممكنا.

على العموم ومهما يكن، فان كل جسد في حركة يمكن اعتباره أيضا كفاعل يتدخل على فضائه. قد تخلق بعض الديناميكات الجديدة للعلاقات ما بين الفضائين دلالات ومعاني جديدة نحو الانفتاح وتغيير العقليات وهو ما يعني أنه لا يمكن لنا اختزال الحركية هنا من المدينة إلى الريف ضمن فعل جامد يهدف إلى التنشئة وفقط بل ومن وجهة نظر أخرى يمكن رؤيتها كإشارة لإنتاج تمثلات جديدة من خلال إعادة التهيئة وكذا من خلال التدخلات على مستوى الفضاء الريفي بفضل "قروي المدينة" مثلما يحدث أثناء محاولات بناء مشروع سكني جديد مثلا الذي قد يغير المنظر الريفي كما سنرى ذلك.

من جانب أخر، تعد الحركية بنظرنا مفهوما سوسيولوجيا مهما باعتبارها تشير إلى التغير من وضعية إلى أخرى، وهو ما دفعنا نحو ضرورة التفكير باستكمال الحركية الجغرافية نحو الريف بفكرة الحركية الاجتماعية والمهنية كما سنرى ذلك لاحقا والتي من شأنها إثراء هذا العمل البحثي بحيث ترتبط الفردانية/الجماعانية بالحركية الجغرافية، المهنية والاجتماعية

2.2.2. البحث عن الطمأنينة:

في العديد من الحالات تعمل الفضاءات الريفية كملجأ من أجل الاستراحة نقصده بحثا عن ما نفتقده في المدينة (الهواء النقي، النظافة، الحرارة المعتدلة،...الخ). يعتبر بعض المستخدمين هذا الفضاء بالأخص كملجأ قد يغنيهم عن كل تشويش. في هذا الاتجاه، لا يزال الريف يقدم ظروف حياة يستحسنها كثيرا "قروي المدينة" خاصة أثناء فصل الصيف نفورا من الإزعاجات الصوتية التي تعود بالأساس إلى ازدحام السيارات وفوضى المدينة وكذا تهربا من حرارة الصيف وبحثا عن بعض من الانتعاش والبرودة، بعيدا عن تلوث الهواء، الغبار، الحرارة الحضرية، القلق...الخ. في مثل هذه الظروف، فان

اختيار البقاء والسكن في الريف أو العودة إلى الريف من أجل السكن أو حتى زياراته من حين لأخر يتناسب مع البحث عن هذا الهدوء والطمأنينة الذي يتولد أيضا بالأخص بفضل التعارف المتبادل " interconnaissance" ما بين السكان الذي قد يلزم احترام الأخر مقابل اللا تعارف " l'anonymat" والفوضى الحضرية ككل.

3.2.2. البحث عن سلع طبيعية (بيو):

تزايدت في الآونة الأخيرة الطلبات الاجتماعية فيما يخص جودة المواد الغذائية التي تنحدر من الأرياف. في هذا الصدد، "تسمح بعض النشاطات الزراعية بتعبئة الموارد لصالح أفراد أو جماعات وهذا سواء في الريف أو في المدينة" (Labex, p. 04). تسجل أيضا هنا عمليات الذهاب والإياب من المدينة إلى الريف ضمن هدف الاستفادة من الخضر، الفواكه واللحوم التي يوفرها الريف. يتعلق الأمر هنا بحقولهم التي تم زرعها من الأشجار المثمرة (تين، زيتون، رمان، تفاح،...الخ) من جهة ومن جهة أخرى فان الخضر التي توفرها المحلات التجارية الريفية وعلى غرار قلتها إلا أنها ذات جودة وذوق عاليين. يذكر هنا أن العديد من الأشخاص ينتقلون خصيصا إلى الريف من أجل شراء اللحوم والألبان. بحيث تكشف كيفيات وطرق استهلاك هاتين المادتين الأخيرتين وبالأخص اللحوم عن عمليات شراء واسعة النطاق ضمن ما يسمى بـ"الشبكة". تكشف الأسر عينة الدراسة عن عمليات شراء في نفس نقاط البيع وهذا سواء في الريف أو المدينة وهي العمليات التي غالبا ما يستحسن إجراؤها للعديد من الأسر الحضرية ضمن الفضاء الريفي.

إلى جانب اللحوم والألبان، تحظى العديد من المواد الأخرى باستقطاب لا مثيل له لدى "قرويي المدينة" منها بالأخص العسل وزيت الزيتون. هذين المنتجون الأخيرين لا يشتريان إلا ضمن "الشبكة". فغياب "الشبكة" بالنسبة لهم يعني غياب الشفافية في تقديم السلعة.

4.2.2. الريف كمكان للسياحة: مساهمة الفاعلين الجدد

في إطار محاولة إعادة تنشيط الفضاءات الريفية، تحاول بعض البلديات الريفية إعادة تفعيل مراكزها بحثا عن الاستقطاب وهذا استجابة إلى العقليات وطرق الحياة التي تتطور وتتغير بحيث ظهرت العديد من أعمال التهيئة (قنوات الصرف، خطوط الهاتف،...الخ) تماشيا مع التطور السكني والسياحي للفضاء الريفي. لكن على مستوى السياسات العامة، نلاحظ غياب تثمين الريف باعتباره يوفر إمكانيات للتنوع البيئي وكفضاء قادر على توفير نشاطات التسلية، الاستجمام والسياحة. إن هذه العوامل يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في المشاريع المستقبلية من أجل إعادة تنشيط هذه الفضاءات.

بالنسبة لبعض الإداريين من رجال ونساء، فان الريف يوفر المواد الغذائية البيو طبيعية وكذا انه مكان للسياحة مهم وهو ما يجعله التوجه الجديد لمشاريعهم المستقبلية. هذا التوجه الأخير قد يساهم في حمل وجهة نظر ايكولوجية وسياحية في علاقتنا مع العالم. بالنسبة للآخرين، بالأخص منهم فئة التجار، فان اللمسة الجديدة التي سوف ندخلها على المنظر الريفي تتمثل في إدخال سكنات جديدة مع ديكور متميز يستجيب لروح العصر والذي يعد ديكور جديد غير مألوف في الريف.

3. التحرك من الريف إلى المدينة.

1.3. الديناميكيات الجديدة للذهاب والإياب ما بين القرويين و"قروي المدينة"

يرى " Gauthier " أنه بالإمكان لحركية الشباب أن تظهر أيضا في الهجرات من أجل الدراسة، الهجرات المهنية والهجرة من أجل اكتشاف الطرائق الجديدة للعيش (سواء المرتبطة بالحياة الزوجية أم لا) (Maunaye, p. II). فبالنسبة للشباب، يتم النظر إلى الحركية باعتبارها مكسب بإمكانه أن يسمح لنا بالانفتاح نحو العالم، الاستمتاع بتجارب جديدة، مواجهة الأخر وكذا تشكيل فردانيته في الأخير (Maunaye, p. I). عموما تستجيب تنقلات الريفيون المتكررة نحو المدينة لعدة أسباب منها البحث عن أفاق جديدة للجيل الجديد من الرجال والنساء خاصة فيما يخص البحث عن الدراسة، التكوين أو العمل، توفر الخدمات الإدارية، القيام بسياحة،...الخ بحيث أن بعد منازلهم عن مراكز التوظيف، المدارس (متوسطة، اكمالية وجامعة) وكذا نقص المحلات التجارية في الأحياء يولد يوميا تزايدا في التنقلات التي يتم انجازها من خلال وسائل النقل الجماعية غالبا.

ضمن هذا المنظار، نشهد في السنوات الأخيرة ظهور فئات سوسيو مهنية جديدة تمارس مهنها خارج مقر سكناها في العديد من البلديات. وهو ما يعني أنه يوجد العديد من التنقلات التي يتم إقامتها من أجل الوصول إلى مكان العمل. مثل هذا النوع من التنقلات أصبحت ممكنة بالنسبة للعديد من المبحوثين الذين وبعد تخرجهم من الجامعة أصبحوا ينتمون إلى فئات سوسيو مهنية متعددة تأمل في الترقية والصعود الاجتماعي انطلاقا من تعليمها وهو ما يسمح لها باحتلال مناصب مهنية جديدة (أساتذة، إداريين، تجار ومختلف المهن الحرة الأخرى،....الخ) من جهة ويساهم من جهة أخرى في توفير المزيد من الاستقلالية بالنسبة لها.

على عكس الحركية الجغرافية كما تمت مناقشته أعلاه، فان الحركية الاجتماعية والمهنية بمعنى التنقل من أجل الدراسة أو من أجل العمل بالأخص لدى فئة الشباب عينة الدراسة يعد عاملا مشجعا

للفردانية. عموما، يقوم الشباب بتنويع تجارب الحركية الجغرافية ومن المؤكد أن هذا لا يعد ظاهرة جديدة لكنه أصبح يحتل أهمية أكثر فأكثر لدى الشباب البالغين خلال العشريات الأخيرة. ففي مرحلة الشباب، فان الحركية تعد مكسبا يسمح بالانفتاح نحو العالم (Maunaye, 2013, p. III) الاستفادة من تجارب جديدة ومواجهة الأخر.

2.3. التدفقات الأسرية نحو المدينة:

تستند هذه التنقلات من الريف إلى المدينة على الروابط الأسرية التي يتم تعزيزها من خلال الزيارات الأسرية للأقارب بحيث يذكر هنا أن أغلب أقارب الريفيون أصبحوا يسكنون المدينة. في هذا الإطار، فان نسبة تكرار الزيارات الأسرية أصبح معززا بفضل توفر وسائل النقل الجماعية. في السابق، فان علاقات ريف/مدينة كانت محددة بسبب نقص الإمكانيات لدى الأسر في الريف أو في المدينة على العموم منها بالأخص إمكانيات النقل (لا نملك السيارة الخاصة مثلا من أجل التنقل بحرية). لكن تميزت العشريات الأخيرة بالتحرير الذي سمح للأسر ببناء وامتلاك منازل جديدة سواء في المدينة أو في الريف وكذا اكتساب السيارة. يذكر هنا أن أكثر من 63 بالمائة من عينة الدراسة أصبحت اليوم تملك سيارة خاصة. يضاف إلى تطور وسائل النقل، تطور وسائل الاتصال منها بالأخص تثبيت الهاتف الثابت في الريف أولا ثم تطور امتلاك الهواتف النقالة وبعدها ظهور الانترنيت داخل الفضاء المنزلي وغزو شبكات التواصل الاجتماعي للحياة اليومية للأفراد وهي كلها وسائل توفر في العديد من الأحيان خدمات اتصالية بالمجان وهو ما يسمح بخلق ديناميكية أخرى للعلاقات ما بين الفضائين من خلال المكالمات الهاتفية المنتظمة ما بين الأسر في إطار الحفاظ على الروابط الاجتماعية للجماعة الأسرية.

قد تساهم هذه الديناميكيات للذهاب والإياب من الريف إلى المدينة في خلق بناءات ومعاني جديدة انطلاقا من التفاعلات والتبادلات ما بين الأسر التي استقرت في المدينة وتلك التي بقيت في الريف. إن مضامين المحادثات تتنوع وتساهم في خلق نوع من روح الانفتاح. في السابق، لدينا عدد قليل من الأقارب في المدينة وان أغلب الممارسات في المدينة كان يحملها أشخاص مجهولي الهوية وهو ما يجعل عموما تبنيها من طرف سكان الريف مهمة صعبة. اليوم، فان هذه الديناميكيات الحضرية الجديدة يتم حملها من طرف أقاربهم الذين قاموا مسبقا بتجربها وهو ما يسهل لهم عملية تبنيها. هنا يتدخل في بعض الأحيان "قرويي المدينة" باعتبارهم قادة الرأي الجدد على مستوى الأسر الريفية الذين نتقاسم معهم نفس المبادئ والذين يتميزون بالأخص بفعل التحضر. ومثل هذه الروابط تعد جد مهمة بحيث تسمح في نفس الوقت بتداول الأفكار الجديدة والمستحدثة خاصة أثناء التبادلات التي قد تحدث في بعض الأحيان مع

جيران الأقارب في المدينة الذين يعبرون عن تنوع اجتماعي وثقافي كبيرين أو أثناء التبادلات مع أعضاء الأسرة الكبيرة المتواجدين بالخارج.

خاتمة:

ساهمت الحركيات الجديدة ما بين الفضائين ريف/مدينة في تشكيل تمثلات جديدة مشتركة ومتقاسمة حولهما. بالنسبة لبعض الإداريين من رجال ونساء مثلا، فان الريف يوفر المواد الغذائية البيو طبيعية وكذا انه مكان للسياحة مهم وهو ما يجعله التوجه الجديد لمشاريعهم المستقبلية. هذا في الوقت الذي قد تسمح فيه الزيارات الأسرية للريفيين لأقاربهم في المدينة بتنويع مضامين المحادثات وهو ما قد يساهم بدوره في خلق نوع من روح الانفتاح وتداول الأفكار الجديدة والمستحدثة.

إن هذا الذهاب والإياب يخلق ديناميكيات جديدة على مستوى العلاقات ريف/مدينة ويمثل فرصة لانفتاح أكبر خاصة بالنسبة للقرويين الذين بقوا لمدة طويلة محدودي الحركة في تنقلاتهم نحو المدينة. قد تدخل هذه الديناميكيات في السنوات المقبلة بالتزاوج مع عوامل أخرى (عمل الأبناء، دراسة، تطور النقل، تطور التهيئة المحلية والنشاط الاقتصادي،...الخ) الأسر في عهد جديد من السلوكيات الثقافية. يجب التذكير هنا أن هذه القدرة على الحركة يجب أن يرافقها مجهودات من طرف الدولة فيما يخص تطوير الهياكل القاعدية للنقل التي تمثل الإجابة الأساسية لرهانات "التوازن الريفي/الحضري". الأمر الذي يجعل من التدفقات من المدينة نحو الفضاءات الريفية أو العكس من الريف إلى المناطق الحضرية ممكنة أكثر فأكثر وهو ما قد يعجل من عملية التغير الاجتماعي على مستوى السلوكيات.

في الأخير لا يهمنا محاولات ضبط وتسجيل العلاقات ما بين ريف/مدينة ضمن العداء والتكامل بقدر ما يهمنا تسجيلها ضمن العقلية الفردانية/ الجماعانية. فرغم العديد من محاولات المحافظة على استمرارية العقلية التقليدية والجماعانية انطلاقا من طبيعة العلاقات التي يقيمها الريف بالمدينة أو العكس إلا أنه يمكن لهذه التبادلات أيضا أن تساهم في إثراء التفاعلات التي قد تدفع بالأفراد نحو تبني سلوكيات مستقلة وفردانية.

قائمة المراجع والمصادر

Breton, H. (2014). L'expérience du voyage : immersion dans l'ailleurs et formation de soi.

Curapp. (2000). *Les méthodes au concret.* PUF.

Dupras, G. (2012). l'importance des conditions de l'éstime de soi à l'adolescence pour le bien-étre psychologique des jeunes et le role du soutien social reçu. *thése présentée comme exigence partielle du doctorat en psychologie* . (U. d. Quebec, Éd.) Montréal.

Hiroko, N. (2017). Techniques d'observation en Sciences humaines et sociales. *52ème Congrès International Société d'Ergonomie de Langue Française*, (pp. 529-532.). Toulouse.

Hofstede, G. (1991). *cultures et organisations, nos programmation mentales,* (éd. 32ME édition). Paris, France: Pearson.

Jagorel, Q. *Villes-Campagnes: pour une cohésion des territoires de la République.* édition démocratie vivante.

Labex, D. (2015). *ville et campagnes en relations : regards croisés Nords- Suds <>, consulté le 2/1/2020.* Consulté le Janvier 02, 2020, sur google moteur de recherche: http://labex-dynamite.com/wp-ontent/uploads/2014/10/141015_appel_colloque_villes-campagnesVF

Louhisse, J. (1999). L'anthropologie, la communication et leurs lieux. *Recherches en communication* (12).

Maddahi, S. A. (2018). Le transport collectif dans la ville de Bejaia. *mémoire de fin d'étude pour l'obtention du diplome en Master en architecture* . (u. d. Béjaia, Éd.)

Mainet, H. (2017). Ville-campagne, urbain-rural : mots, lieux et liens. Approches croisées France-Afrique subsaharienne. (U. T. Jaurès, Éd.) *Géographie.*

Margier, A. (2013). La cohabitation dans les espaces publics: conflits d'appropriation entre riverains et personnes marginalisées à Montréal et Paris. *Thése de Doctorat en études urbaines et touristiques* . Université du Québec.

Maunaye, E. (2013). La migration des jeunes : quelles mobilités? Quels ancrages? La place des liens familiaux et des relations intergénérationnelles. *revue international enfante famille générations , 19*,

Merzouk, S. (2015). Transport collectif en milieu urbain. cas de la ville de Béjaia. Dans C. e. Faculté des Département Sciences Economiques (Éd.), *Laboratoire d'Économie et Développement.* Béjaia.

Paugam, S. (2010). *l'enquéte sociologue.* (Q. Manuels, Éd.) France: Presses universitaires France PUF.

Rieutort, L. (2012). Du rural aux nouvelles ruralités. (C. i. (CIEP), Éd.) *Revue Internationale d'Education de Sèvres* .

Triandis. (1995). *Individualism and Collectivism, new direction in social psychology* (éd. first published). ,Westeview Presse.

Uichom. (1994). *Individualism and Collectivim, theory, method and applications.* Cross Sage publications.

Vanier, M. (2007). *les relations « ville / campagne » excédée par la périurbanisation,.* (U. PACTE, Éditeur, & l. C. français, Producteur) Consulté le janvier 04, 2020, sur HAL archives ouvertes: https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00177548/document

Yves Guillermou, (1999). ville et campgne en Algérie. *Autrepart* (11)